# تجارب النّقد لدى الشّعراء النّقاد في الجزائر

## مقاربة في المرجعيّات والإنجازات والأعلام

## *Criticism experiences of critical poets in Algeria*

## *An approach to references, achievements and flags*

**كريمة حوامد** *



| تاريخ الارسال | تاريخ القبول | تاريخ النشر |
|---|---|---|
| | | |



**الملخص:**

تحاول هذه المقاربة تبيين الأثر المشرقي والغربي في دراسات الشعراء. وهذه الفئة التي تم اختيارها ميدانا للمقاربة تتعد أسماء وتجعل المسيرة الأدبية النقدية في الجزائر تتسم بالسياقية في بداياتها وتتحول إلى نسقية ثم تنفلت من واحدية المنهج وجاهزيته فتغدو لامنهجية. وهذا التقلب بين المناهج يبدأ متأثرا بالتجارب المشرقية ويقتفي تجاربهم ثم يقترب شيئا فشيئا من المنهجية خاصة في الجامعة التي احتوت بحوث الشعراء المقدمة لنيل شهادة جامعية متمثلة في الماجستير والدكتوراه وهي نفسها التي سيعاد طبعها متحولة إلى كتب نقدية.

**الكلمات المفتاحية:** الشعراء النقاد، النقد الجزائري المعاصر، النقد الجزائري الحديث، نقد المشارقة.

***Abstract:***

*This approach attempts to show the eastern and western influence in the studies of poets. And this category, which was chosen as a field for the approach, goes beyond names and makes the critical literary procession in Algeria characterized by contextuality in its beginnings and turns into a systematization, then it escapes from the monotheism and readiness of the methodology and becomes non-systematic. And this fluctuation between the curricula begins to be influenced by the oriental experiences and follows their experiences, then gradually approaches the methodology, especially in the university, which contained the research of poets submitted to obtain a university degree represented in the master's and doctoral degrees, and it is the same that will be reprinted and transformed into critical books.*

*Keywords: critical poets, contemporary Algerian criticism, modern Algerian criticism, oriental criticism*

********************************

* جامعة الصديق بن يحي جيجل

**مقدمة:**

نتيجة لمؤثرات معينة، يتخلّق الإبداع شعرًا يجسده الشّاعر كلاما غير عاديٍّ معبرا على انفعال داخليٍّ بأسلوبٍ خاصٍّ، لذا فعملية ردّ الفعل هذه، وما سبقها، شديدة التعقيد تتحجّب خلفها الكثير من الأسرار لا يستطيع أن يكتشفها إلا من كان إنسانًا مرهف الإحساس، خارق الخيال، كابد متاعب الكتابة، وذاق ويلاتها، وعلى هذا لا ينبغي أن يكون ناقد الشعر إلا شاعرا.

إنّ الجمع بين طرفي الخلق والتنظير عند الشّاعر يجرنا إلى طرح جدل قديم يتمحور حول كفاءة الشّاعر ناقدًا للشعر، وجدوى هذه الممارسة النقديّة كخطاب مغاير، ومن ثمّ مدى موضوعية الآراء النقدية وتوافقها مع الأسلوب الشّعريّ. وفي هذا الصدد تتقلّب مجمل الآراء بين اتجاه يرى مع عبد القاهر الجرجاني أن "نقد الشعر وتمييزه صناعة أخرى غير نظمه"، وآخر يلخصه أبو نواس في قوله:" إنّما يعرف الشّعر من دُفع إلى مضايقه".

و بين ضفة تحطّ من إمكانية اجتماع الملكتين، و أخرى تعلن أنّ ضرورة موت إحداهما مرهون بميلاد الأخرى، يطرح السؤال التالي:"هل يكمن أن تتوجد هذه العلاقة الّتي تحمل في طياتها نوعا من التداخل والتجاذب و التنافر، و أحيانا التناقض و الاختلاف في شخص واحد يكون شاعرًا و ناقدًا في الوقت نفسه؟ ". لأنّ الجمع بين الكتابتين الإبداعيّة و النّقديّة ليس بالأمر الهين و السهل، و قد عبّر عبد الملك مرتاض على هذه الصعوبة بمقارنتها بالتّجربة الجامعة بين النّقد و السرد مقرا بأنّ الجمع بين النّقد و الشعر أشد صعوبة وأكثر تعقيدا لكنّه ليس بالأمر المستحيل[1]. وهذه الصعوبة نابعة من طبيعة الإبداع الذي يعتبر خلقا مختلفا عن طبيعة النقد. وعليه كيف يمكن لشخص واحد أن يحتوي هذه العلاقة التي ألفت السقاية من منبعين مختلفين لتظهر للعيان مؤسسة لخطاب نقديّ مختلف متجدد مرتوية من منبع واحد هو الخصم و الحكم في الوقت نفسه؟

يثير فعل الخطاب الصادر من الشاعر العلاقة الجدليّة القائمة بين الشّاعر والنّاقد، لأنّ الشّاعر يَفْترض وجود قارئ ما يستقبل هذا الخطاب، فينتج عن هذا الاستقبال عملية ردّ فعل جهّز لها الشّاعر معايير الدّهشة والانفعال الّتي كان يراها مناسبة لتكون في مستوى مفاجأة المتلقي. وهو إذْ يختار عناصر الإبلاغ والتأثير إنّما يختارها انطلاقا من خبرته كقارئ ومما يتعرَّف عليه من ردود فعل القرّاء اتجاه ما يقرؤون له ولغيره، وتتجلى ردود الفعل في شكل ملاحظات قد تتطور فتشكل الخطاب النقدي العام أو نظرية الأدب[2].

ومن خلال ما سبق لا يمكن قصر دور الشّاعر على قول الشّعر، وإنّما دوره يتجاوز عملية الخلق إلى قراءة ما يبدعه هو وما يبدعه الآخرون متحوّلا إلى ناقد. وإذا كانت آراء القراء من غير الشعراء تساهم في التأسيس لقيام خطاب نقدي جديد، فما يسعى إلى الحطّ من مستوى مساهمة الشّعراء النّقاد هو شيوع وتداول مقولة "الشاعر ناقد فاشل".

الحديث عن هذه الإشكاليّة يوحي بإقبار النّقد لدى الشّعراء "فكأن بعض النقاد يأبى للأديب ألا يكون مبدعا"[3]. لذا يجب أن تأخذ منعرجا إيجابيا بإعادة طرحها في الساحة النقدية في شكل يليق بقيمة وجهود النّقد لدى الشعراء باعتبارهم الآباء الشرعيين للعملية النقدية انطلاقا من الممارسة الذاتيّة للنّقد على القصيدة في بدايات ولادتها، و ذلك بعرض إشكالي جديد و هو "هل الشاعر ناقد ناجح؟" أو " ما قيمة النّقد لدى الشّعراء؟". وهذا الطرح الجديد رغم أنّه يحمل في طياته التفاؤل و

يمهد بنقد ذا أهمية لدى الشّعراء إلّا أنّه لا يقبر الجهود النّقدية لهذه الفئة المزدوجة الوظيفة.

تكشف المداخلة تصورا مغيّبا في المقاربات النقدية التي ينجزها الباحثون في مجال النقد الجزائري المعاصر، فرغم من أنه نال حظا وافرا من الدراسات النقدية العربية، التي عالجت فكرة الازدواج الشعري النقدي، سواءً عند شاعر واحد أو في فترة زمنية معيّنة من تاريخ الأدب العربي عبر عصوره، غير أن الفكرة تغيب في الجزائر، ففي حدود اطلاعي على مدونة النقدية لم أجد دراسة استفردت بالموضوع و استهدفت الوقوف أمام الأعمال النقدية للشعراء و مقارنتها بما ينتج من إبداع، إلا ما ورد في مقالة للباحث محمد الصالح خرفي نشرت في مجلة الن(ا)اص تحت عنوان: الشعراء النقاد في الجامعة الجزائرية _ علي ملاحي، يوسف وغليسي نموذجا_.

و سعيا لتثمين الجهد المبذول من طرف صاحب المقال الباحث محمد الصالح خرفي و اقتداءً بدراسات أخرى، ستحاول هذه المقاربة تبيين الأثر المشرقي و الغربي في دراسات الشعراء. و هذه الفئة التي تم اختيارها ميدانا للمقاربة تتعد أسماء و تجعل المسيرة الأدبية النقدية في الجزائر تتسم بالسياقية في بداياتها و تتحول إلى نسقية ثم تنفلت من واحدية المنهج و جاهزيته فتغدو لامنهجية. و هذا التقلب بين المناهج يبدأ متأثرا بالتجارب المشرقية و يقتفي تجاربهم ثم يقترب شيئا فشيئا من المنهجية خاصة في الجامعة التي احتوت بحوث الشعراء المقدمة لنيل شهادة جامعية متمثلة في الماجستير و الدكتوراه و هي نفسها التي سيعاد طبعها متحولة إلى كتب نقدية، و عليه تبحث المداخلة في المحاور التالية:

- ميدان نشاط الشّعراء النّقاد الأوائل
- الشاعر الجزائري رائدا للنقد
- الظهور المتأخر للنّاقد المتخصص في الجزائر
- شعراء السبعينيات و الثمانينيات نقادا للشعر
- تواصل خفوت الصوت النقدي لدى لشعراء الجزائريين
- نشاط الحركة النقدية للشعراء في الجامعة
- جدول يوضح أعلام ثنائية الشاعر الناقد في الجزائر
- أقسام الشعراء النّقاد في الجزائر

1. ميدان نشاط الشّعراء النّقاد الأوائل:

يلاحظ أن الممارسة النقدية لدى الشعراء العرب الرواد احتوتها الجرائد و المجلات و كذلك الأمر بالنسبة للنقد لدى الشعراء الجزائريين حيث تكررت التجربة نفسها و احتوت الجرائد و المجلات تجارب الأولى للنقد الجزائري الحديث، و هذا ما يكشف عنه الشّاعر النّاقد عمّار بن زايد عندما يتتبّع النّقد الجزائريّ قبل سنة 1961، معتمدا على منشورات جريدة البصائر، الصراط، و الشهاب ميدانَ نشاطِ كثيرٍ من الشّعراء النّقاد من بينهم محمد السعيد الزاهري الّذي كتب مقالةً عنوانها "الدكتور طه حسين شعوبي ماكر" في جريدة الصراط، ورمضان حمّود الّذي كتب مقالةً عنوانها "حقيقة الشّعر و فوائده" في جريدة الشهاب عبر حلقاتٍ متتابعةٍ. و أبو القاسم سعد الله في مقالة عنوانها "في ظلال النقد مع حمار الحكيم" و محمد الشبوكي في مقالة "غادة أم القرى" و حمزة بوكوشة الذي كتب "هل في الجزائر شعراء؟" و أحمد

سحنون في مقالة "سكوت الشاعر" الّتي نُشرت في جريدة البصائر.

و النّقد في هذه الجرائد بعضه إصلاحيٌّ ينظر للأدب من وجهة دينيّة و يتجلى ذلك في تحامل محمد السعيد الزاهري على طه حسين " فهو مدفوع بنزعته الإصلاحيّة و بموقف النهضة الأدبيّة عمومًا، إلى أن يقف هذا الموقف ضد التجديد، و هو موقف مناصر للاتجاه التقليديّ في المشرق العربيّ"[4]..لأنّه يعتقد أنّ الاتّصال بالغربييّن و تقليدهم على المستوى الأدبيّ لا يولّد إلّا الانسلاخ من اللّغة العربيّة تعريضها للخطر و "هذا كله يدخل في إطار الهجمة الاستعمارية على العروبة و الإسلام لإدراكه أنّهما وجهان لعملة واحدة، لا يمكن انفصالهما عن بعضهما البعض" [5]. و هذا الرأي يدّل بوضوح شديد على النظرة الإصلاحيّة التي وَجّهت النّقد في هذه الفترة، على أنّ ذلك لا يعدم وجود محاولات النظرة الجديدة للأدب و محاولة النهوض به من الناحية الفنيّة و تجنب النظرة الأخلاقيّة تلازمه لا تسمن و لا تغني من جوع، فهذا رمضان حمّود لا " يرفض التراث ويريد إهماله، فالجديد عنده ليس عمليّة منفصلة عن الماضي أو رافضة للتراث و لكنها عملية تأخذ بعين الاعتبار القيم الإيجابية فيه فتستفيد منها"[6].

لكنّ هذه الجهود غير متخصص أصحابها في النّقد حيث يرى وغليسي أن "الصحف و المجلات، الّتي كان يدبجها بعض الأدباء و المشايخ أمثال رمضان حمّود و محمّد السّعيد الزاهري و ابن باديس و حمزة بوكوشة وأحمد بن ذياب و عبد الوهاب بن منصور و أحمد رضا حوحو و غيرهم من الأدباء و المشايخ الّذين لم نعرف واحدا منهم جعل النّقد شغله الشاغل"[7] . و إذا كان عمار بن زايد قد عمد إلى تقسيم تلك الجهود بين ثلاثة مناهج: التاريخي التأثري ، و الفني، فإن وغليسي يرى أن ذلك مجرد "حديث خرافة" [8].

و حديث الخرافة الّذي صرّح به وغليسي يستند إلى أنّ النّقد الجزائريّ . في هذه الفترة. متأخرٌ و لا يحتمل التّقسيمات السابقة، و ذلك عائدٌ إلى عدم التخصص فيه ميدانًا للدراسة الجادّة، بالإضافة إلى سببين آخرين أوردهما الباحث عمار بن زايد قائلا:" و نريد هنا أن نؤكد أنّ الاضطراب في النقد الجزائري الحديث يعود إلى أمرين اثنين، الأوّل هو ضعف الأدب الجزائريّ الحديث و عدم تنوعه آنذاك، و الأمر الثاني محدودية الثّقافة الأدبيّة و النّقديّة لدى النّقاد الجزائرييّن و بخاصة ما تعلق منها بالتيارات الأدبيّة و المناهج النقديّة"[9].

و من ثمة فإنّ أسباب عدم تجلي مختلف المناهج النقديّة في الجزائر يمكن اختصارها في ما يلي:

- عدم التّخصص في ميدان النّقد.
- ضعف الأدب الجزائريّ و عدم تنوعه.
- محدوديّة ثقافة النّاقد الجزائريّ.

و هذه الأسباب ستكون نتيجتها الحتميّة حجم التأليف النقديّ القليل جدّا المقتصر على نشر مقالات لا ترتقي لتمثيل منهج قائمٍ بحد ذاته، هذه المقالات الّتي نشرت في مجلات عربيّة و جزائريّة، و عليه فإنّ تكرار التّجربة المشرقيّة في الجزائر كان نتيجة للمثاقفة الشعرّية و النقديّة، إذْ إنّ أوائل النّقاد مبدعون، حيث يذكر الشّاعر النّاقد بن زايد أنّه لم يجد إلا وقفة نقديّة محدودة لمحمد مصايف في كتاب النقد الأدبي في المغرب العربيّ "وكذا محاولات عبد الله الركيبي، محمد ناصر، صالح خرفي و أبي القاسم سعد الله"[10].

2. الشاعر الجزائري رائدا للنقد:

و من خلال شهادة عمار بن زايد السابقة نلاحظ أنّ الأسماء المذكورة ثلاثتها شعراء مِن بينهم أبو

القاسم سعد الله الّذي صرح بتأثره .في كتابة الشّعر الحرّ. بالتّجربة الشعريّة في المشرق، و يدّعم هذا العامل من حيث شرعيتُه شهادة محمد ناصر، إذْ يقول:" لعل النموذج الشّعري الوافد من المشرق العربيّ يجيئ في مقدمة العناصر إذا ذُكر العامل الثقافيّ. فبحكم تواجد أغلب الشّعراء الشباب للدّراسة بتونس و المشرق العربيّ تهيأت لهم الفرصة الكافية للاطّلاع على هذه التّجارب الأدبيّة، و الاحتكاك بالمدارس النّقديّة عن قرب"[11].

و يوافق أحمد يوسف محمد ناصر فيما ذهب إليه حيث يرى أنّ تجربة الشّعر الحرّ نموذج للامتزاج الثقافيّ بين الشّعراء الجزائريين و العرب، و أنّ الأسباب الأخرى الّتي يوردها الدّارسون كالظروف السياسيّة و الثقافيّة والاجتماعيّة بعد الحرب العالميّة الثانية لا يكمن الرّكون إليها، و يعلل ذلك بأنّ التّجربة كانت فرديّة و لم تكن ثورة جماعيّة ممثلة في حركة تعبّر عن حجم التغيير الكليّ الّذي مسّ كل الشعراء و الأدباء الجزائريين[12]. وعليه لا يمكن قبول هذا الرأي الميكانيكيّ و المبالغة في تفسيره و تضخيمه، و إنّما القول برأي يقبله المنطق لأنّ الاحتكاك بالمشرق كان فرديّا فنتج عن هذه المحاولة الفرديّة جهدٌ فرديٌّ، و ذلك لا يعني أنّ أبا القاسم الوحيد من الشّعراء المتأثرين بالشّعر الجديد في المشرق، إنما يعني أنّه كان السبّاق للتّجربة في هذه الكتابة.

يعيد النّقد تاريخ نفسه في الجزائر و يكرّر كرّة أخرى قضية الرّيادة في الشّعر الحرّ، فالتشابه الّذي وُجد على مستوى الشّعراء الحاملين لواء النّقد سينتقل إلى تشابه على مستوى من الرّائد؟ هل هو أبو القاسم سعد الله الّذي كتب " طريقي" أم أحمد الغوالمي الّذي كتب" أنين و رجيع"؟ و كلاهما له آراء نقديّة منشورةٌ في المجلات الّتي كانت تحتوي التّجارب الشّعرية و النّقديّة. و يعبر أحمد يوسف عن ذلك الاسقاط النّقدي الّذي تبناه أبو القاسم سعد الله فقصيدة "طريقي" لم تكن سوى تجسيد " لنظرته النقدية التي لا ترى في الوزن و القافية عمود الشعر وشرط وجوده، و إنما تدعو إلى توخي الصدق الفني أساسا للتجربة الشعرية"[13].

و إذا واصل صاحب "طريقي" وفاءه فإن مزاحمه ما فتئ ينكص عن ولائه، و قد عبر الباحث عبد الملك مرتاض عن هذه الرّدة النّقديّة بقوله:" أحمد الغوالمي الّذي كان ينازع أبا القاسم سعد الله ريادة الشعر الجديد؛ حتى إذا جاء عليه عهد الاستقلال كتب مقالة غريبة نشرت في حلقتين اثنتين في جريدة النصر القسنطينية في أبريل 1973 بعنوان : (( رشحات على الشعر الحافي، الخالي من الأوزان و القوافي)) تنكر فيها للشعر الحرّ، و سخر سخرية شديدة مّمن يمارسون كتابته"[14] . و يؤكد وغليسي ذلك قائلا :" لكن الأغرب من ذلك أن يكون الغوالمي الذي كتب (أنين و رجيع) سنة 1955 و هو شريك سعد الله في التأسيس لحداثة المعمار الشعري الجزائري، هو نفسه الغوالمي الّذي كتب سنة 1973 ( رشحات على الشعر الحافي الخالي من الأوزان والقوافي)"[15].

و هذا يعني أنّ إشكالية الرّيادة طرحت بجد في الجزائر، كما أنّ الغوالمي شاعرا كتب مقالة يتنكّر فيها لنوع جديد آمن به و كتب على منواله قصيدة زاحمت الرّيادة الشعريّة الجزائريّة الجديدة، لذا حقّ للشاعر النّاقد وغليسي أن يتساءل فيجمع بين انفصام شعريٍّ في شخصيته معبرا عن استغراب هادف، بعنوان يحتوى مفارقتين:" أحمد الغالمي(1920. 1996) الكلاسيكيّ الجديد أم الحداثيّ المرتد" [16]. و بما أن العنوان . الّذي ورد استفهاما. نصٌ مصغرٌ فهو تساؤل يمرّر رسالة إلى قارئ ليدرك مزيجًا في شخصية الغوالمي الشّاعر النّاقد الملم بين الكلاسيكيّة و الحداثة، بين

الانصياع للجديد و التمرد عليه. إنّها ردّة مزدوجة ، ردة للحداثة و عليها.

و عندما تبرر هذه الرّدة المزدوجة لا يمكن الاطمئنان إليها، فعبد الله حمادي طرح الإشكاليّة نفسها متسائلا: "يفرض علينا الأمر الواقع من مسار الغوالمي أن نتساءل لماذا أقدم على ابتداع ما لم يكن يستهوي ذوقه الفني فيظهر عام 1954 كخارج عن قانون القصيدة العربية التي عشقها و أغرم بصنوجها و ترانيمها، و يكتب أوّل قصيدة تتمرد على النمط الخليلي ؟" [17] رغم أنّ الغوالمي كلاسيكيٌّ بامتياز و وَفِيٌّ لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين و مفهومها للشعر، و الدليل على ذلك أنّه عدّ الشّعر العموديّ أساسا لقيام ديوانه المخطوط. لكن الشاعر الناقد حمادي لم يعبر عنها بالغرابة لأنّه قدّم مبررات الغوالمي في كتابته النموذج الجديد من الكتابة الشعريّة " مؤكدا أن ما دفعه إلى ذلك هو إثبات قدرته الشعرية على ركوب حتّى هذا النّوع من الشّعر الّذي أطلقوا عليه تسمية الشّعر الحرّ"[18].

و إذا كان سعد الله سبّاقا شاعرا فقد كرّر التّجربة في مجال النّقد، حيث يقترح الباحث وغليسي .إثر اعتراضه على تقسيم الباحث عمار بن زايد. بديلا، و يقسم النّقد الجزائري المعاصر إلى مرحلتين مرحلة سياقيّة و مرحلة نصانيّة. و تبدأ المرحلة الخارج نصيّة سنة 1961 عندما استطاع الشّاعر النّاقد أبو القاسم سعد الله، أن يقدّم دراسةً عن الشاعر محمد العيد آل خليفة عنوانها "محمد العيد آل خليفة .رائد الشعر الجزائري الحديث ." و الّتي كانت بدايةً فعليّةً للنقد المنهجيّ في الجزائر، حيث حاول من خلالها مقاربة الأدب الجزائريّ و ربطه بسياقه التاريخيّ.

و بالمقاربة نفسها تطرّق الشّاعر النّاقد محمد ناصر للمقالة الصحفيّة في الجزائر حيث يرى أن:" مراعاة المنهج التاريخي(...) يعتبر جزءا من الجهد المتواضع الّذي تقدمه هذه الرّسالة، لأنّها ترسم تطورا تاريخيّا للفكر الجزائريّ"[19]. و يذكر علي ملاحي محمد ناصر إلى جانب مجموعة من الشعراء فيقول: "أن الأسماء التي عرفت في الواقع الأدبي في مرحلة السبعينيات و المتفاوتة في إمكاناتها الإبداعية و الفرص الثقافيّة، و الّتي يمكن حصرها بناءً على حضورها الفعليّ ممثلة في عبد العالي رزاقي، مصطفى الغماري، أزراج عمر، أحلام مستغانمي، زينب الأعوج، ربيعة جلطي، أحمد حمدي، حمري بحري، محمد ناصر، السائحي عبد القادر، محمد زتيلي، عمار بن زايد عناصر سبعينية كان لها حضورها الخاص"[20] .

3. الظهور المتأخر للنّاقد المتخصص في الجزائر:

من خلال الأسماء السابقة ندرك جيّدا أنّ كلّ من عبد العالي رزاقي و مصطفى الغماري و أزراج عمر وزينب الأعوج و ربيعة جلطي و أحمد حمدي و حمري بحري و محمد ناصر و محمد زتيلي و عمار بن زايد لديه رأي و ممارسة نقدية لا ترقى إلى مستوى التخصص، ما يكشف عن تأخر ولادة النّاقد المتخصص في الجزائر، فالتجارب الشعرية في مرحلة السبعينيات و رغم كثرتها لمّا تزل تعاني تأخر النضج الفنّيّ، الّذي لا يمكنه قبول الدراسة النّقدية الجادة، و إذا كانت هذه حال الشّعر فكيف ستكون حال نقده، على أساس أنّ ولادة النّاقد أعسر من ولادة الشّاعر و في الوقت نفسه هي ولادة لاحقة أو موازية ؟

و الدليل على هذه الولادة المتأخّرة ردًّا فعليًّا . سواء في مرحلة السبعينيات أو قبلها. أبو القاسم سعد الله الّذي ألّف أغاني الحياة سنة 1955" و تأخّر منجزه النّقديّ المتمثل في "محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث إلى سنة

1961"، و صالح خرفي في ديوانه "صرخة الجزائر الثائرة 1958" الذي سبق "شعر المقاومة الجزائرية 1962" بسنوات، و زينب الأعوج التي قاربت التّجربة الشعريّة في الجزائر في عملين متأخرين هما:" السمات الواقعيّة للتّجربة الشعريّة في الجزائر 1985" و "التّجربة الشّعرية الشابة في الجزائر 1986" عن شعرها "يا أنت من منا يكره الشمس 1979".

لقد عبر أحمد يوسف عن هذا التّأخر بالفراغ الّذي عرفته مرحلة السبعينيات بإسهام النّقاد المشارقة في سدّ الفراغ النّقديّ الّذي كانت تشكو منه الساحة الأدبيّة، و من هؤلاء عبود شراد شلتاغ في أطروحته الّتي أنجزها في معهد اللغة العربيّة بوهران* و كتابات حسن فتح الباب الّتي كان ينشرها آنذاك في ملحق النادي الأدبيّ بجريدة الجمهوريّة الّتي تصدر في وهران بالغرب الجزائريّ فكانت دراسته لشعر الشباب منكبا على ما عرف في استعمال الدارسين بـ"شعر السبعينيات"[21]. و في موضع آخر من الكتاب نفسه يعبر عن غياب النّقد و النّقاد لهذه الفترة الفتيّة و بلاغتها المتميزة. حسب رأيه. من شعر الشعراء الجزائريين[22].

و عليه يدعو الناقد أحمد يوسف إلى إعادة قراءة هذه التّجارب الشعريّة و التّجارب النّقديّة الّتي كتبت حولها؛ أمّا إعادة قراءة شعر السبعينيات فيستهدف كشف صلتها و تناصها مع التّجربة المشرقية و هل هي فعلًا تابعة لها، و أمّا إعادة قراءة التّجارب النّقديّة .الّتي لها مزيّة المواكبة و سدّ الفراغ النّقدي .فيستهدف كشف التجارب التي سعت إلى التميز، لأنّ بعض الشّعراء في تلك المرحلة سعوا إلى تحقيق فرادتهم و الخروج عن الأبوة المشرقيّة خروجا نسبيا. و يقدّم أحمد يوسف نموذجًا متمثلًا في الشّاعر النّاقد أزراج عمر في مقدمة ديوانه العودة إلى ثيزي راشد الّتي عبر فيها .من خلال مونولوج . داخليّ حول التفرّد و الخروج عن أسر الأبوة المشرقية[23].

و إذا عانت هذه التّجربة الشّعرية السبعينية اليتم فإنّ انسحابها و اسقاطها على مجال النّقد لا يستحيي أن يعطي لنفسه هذه الشرعية المزدوجة، و من ثمّ يمكن الحديث عن يتم مزدوج، يتم اليتم أو يتم النّقد؛ إذْ إنّ التّجربة النّقديّة لا بد لها من تراكم معرفي تقف على أساسه التّجارب الجديدة و هذا ما لم يتوفر عليه النقد الجزائري في هذه المرحلة فلا تراكم في مجال الشّعر سيؤدي إلى لا تراكم نقدي.

4. شعراء السبعينيات و الثمانينيات نقادا للشعر:

و الملاحظ أنّ التّجربة النّقديّة في فترة السبعينيات الثمانينيات برزت فيها الأسماء الشّعريّة الّتي تتمثل في صالح خرفي و محمد ناصر التي خرجت من المجلات في الستينيات إلى تأليف الكتب، و هذا يعد إنجازا نقديًّا منقطع النظير لم يألفه النقد الجزائري سابقا، فقد ألّف الباحث صالح خرفي مجموعة من الكتب تميل إلى الدراسة التاريخيّة كشعر المقاومة الجزائريّة الّذي نشر 1982 و الشعر الجزائري الحديث الّذي نشر 1984 والمدخل إلى الأدب الجزائري الحديث 1983، و كتب أخرى تتحدث عن شخصيات أدبية جزائرية كعمر بن قدور الجزائري، رمضان حمود، محمد السعيد الزاهري و محمد العيد آل خليفة.

و ألّف الباحث محمد ناصر في السياق نفسه رمضان حمود حياته و آثاره ، و أبو اليقضان و جهاد الكلمة الّذي نشر 1980، و عمر راسم المصلح الثائر، كما كانت الصحف العربية و الجزائرية أُولى اهتماماته النّقديّة، و أمّا أهمّ مؤلفاته فهو الشّعر الجزائريّ الحديث ( اتجاهاته و خصائصه الفنية)

الذي أُصدر سنة 1985 و قد فتح فيه المجال لدراسة الشعر الجزائري دراسة فنيّة " لأنّ دراسة الشّعر من جانب المضمون وحده لن يقدّم لنا التّصور الكامل عن العمل الشّعريّ كما أنّ تناوله من زاويته الفنيّة وحدها لن يكون معيارًا صحيحًا لتقييم هذا الشّعر و وضعه في مكانته اللائقة به"[24]، و من الشواعر الناقدات في هذه الفترة الشّاعرة النّاقدة زينب الأعوج التي ألفت كتابها السمات الواقعية في التجربة الشعرية في الجزائر الصادر سنة 1985. و هذا يعني أن الدراسة ليست بريئة من المناهج السياقيّة. و الحديث عن المنهج التاريخي بداية فعليّة للنّقد مع سعد الله استمرّ مع خرفي و محمد ناصر في المؤلفات المذكورة سابقا.

كما جسّدت فترة الثمانينيات مواصلة الأسماء الشّعرية السبعينيّة للممارسة النّقدية أمثال الشعراء صالح خرفي و محمد ناصر مع ظهور عبد الله حمادي و عبد العالي رزاقي و زينب الأعوج، لكنّ الملاحظ على هذه الفترة خفوت الصوت النّقدي للشّعراء النّقاد رغم أنّ إنتاجهم يفوق الفترة السابقة، و ذلك مقارنة مع المدّ الّذي حققه غيرهم من النّقاد، أمثال النّاقد عبد الملك مرتاض و محمد مصايف و عبد الله الركيبي و واسيني الأعرج ومحمد ساري الّذين تميزت أعمالهم النّقديّة بالميل إلى مقاربة السرد. و كذا التّحول المنهجيّ من التاريخيّ إلى الاجتماعيّ الّذي يتناسب مع الإبداع السرديّ لدى السارد النّاقد.

5. تواصل خفوت الصوت النقدي لدى لشعراء الجزائريين:

يظهر تمثّل الشّعراء النّقاد لدراسة المتن الشعريّ الجزائريّ مع دراسة أسلوبيّة في منتصف التسعينيّات على يد الشاعر على ملاحي التي تجسّد تفاعل الشّعراء الجزائريين و وعيهم بالحسّ النقديّ الجديد لمنهاج النّقد الأدبيّ، هذه المناهج الّتي أولت القارئ سلطة القراءة بعد أن ظلّت المناهج السياقيّة و البنيويّة تخنق أفق النّص، فجاءت الدراسة تحت عنوان شعريّة السبعينيات في الجزائر (القارئ و المقروء) الصادر سنة 1995 الّذي يجسّد المقاربة الأسلوبيّة للمتن الشعريّ الجزائري، و هي مدونة مكونة من دواوين عبد العالي رزاقي و مصطفى الغماري و أزراج عمر و أحلام مستغانمي و زينب الأعوج و ربيعة جلطي و أحمد حمدي و حمري بحري ومحمد ناصر و عبد القادر السائحي و محمد زتيلي و عمار بن زايد.

و هذا الوضع الجديد في النّقد لدى الشّعراء النّقاد في الجزائر يتطلب التنقيب عن خفوت الصوت النّقديّ لديهم بعدما كانوا يرون أنفسهم الحملة الحقيقيين له. و عليه فالوصول إلى فكّ قفل هذا الخفوت يتطلب التريث ومتابعة تطور النّقد الجزائريّ، بعد مثاقفته للنّقد الجديد الّذي جعل العمل الروائيّ بؤرة مهيمنة على ممارساته النقدية. و كما جنح الشّاعر إلى نقد شعره سيجنح في هذه الفترة السّارد إلى نقد سرده، و من ثمة سيبطل ظهور السارد النّاقد مفعول الشّاعر النّاقد نسبيا و يثبط عمله . في نقد السرد . مرجئا إياه إلى وقت لاحق تزدهر فيه الكتابة الشعريّة الّتي تتناسب مع ذوقه و ميولة و ثقافته النّقديّة.

و رغم السيطرة النّقديّة للمناهج الجديدة الّتي ظلت تصرّ على غلبة الجانب السرديّ في ممارساتها إلّا أنّنا يكمن أن نتحدث . بالإضافة إلى المذكورين سابقا. عن مخلوف عامر في تطلعات إلى الغد و تجارب قصيرة وقضايا كبيرة و الطاهر يحياوي في البعد الفنّي و الفكري عند مصطفى الغماري، بالإضافة إلى الأخضر عيكوس الّذي نشر بعص الدراسات في جريدة النصر في أعمال إدريس بوذيبة، و زينب الأعوج و عمار بن زايد و عمر أزراج

و أحمد حمدي و عبد الله حمادي و حرز الله بوزيد و عمارية بلال.

6. نشاط الحركة النقدية للشعراء في الجامعة:

الباحث عن ازدواج الإنتاج لدى الشعراء النّقاد بعد سنة ألفين يقرّ بأنّه غزير غزارة الأسماء المنضمة في إطار ثنائية الشّاعر النّاقد و ذلك بعد تراكمها في الساحة النقدية الجزائرية، و الّتي تضاف لها سمة تميزها وهي العمل الأكاديميّ في الجامعة الجزائريّة، باستثناء بعض الأسماء كحبيبة محمدي و الشريف موهوبي الّذين قرروا الاستقرار خارج الجزائر و خارج جامعتها. و هذا دليل واضح على أنّ النّقد ينشط داخل الجامعة و هي الوسط الّذي يساعده على الارتقاء و متابعة جديد المدارس النّقدية، و هي أيضا ميدان للتفاعل و التبادل الثقافيّ والتّجريب و الترجمة و الطبع و النشر.

و الدليل على ذلك كثرة الملتقيات الأدبيّة كملتقى السيمياء و النص الأدبي الّذي ينعقد في جامعة بسكرة، الأدب الجزائري في ميزان النّقد الذي ينعقد في جامعة عنابة، و ملتقى الأدب الجزائريّ بين خطاب الأزمة ووعي الكتابة الذي ينعقد في جامعة الوادي، و ملتقى علم النص بالجزائر. إضافة إلى المجلات المتخصصة كمجلة تجليات الحداثة في جامعة وهران ومجلة اللغة و الأدب في جامعة الجزائر و آمال و الآداب في جامعة قسنطينة، و بونة للدراسات في جامعة عنابة، و النذ(ا)ص في جامعة جيجل، مجلة الخطاب في جامعة تيزي وزو، ومجلة الشعرية في جامعة مسيلة و مجلة العلوم الإنسانية و مجلة الأمة و مجلة الأثر و مقاليد في جامعة ورقلة ومجلة المجلة و مجلة قراءات في جامعة بسكرة.

كما وضعت الجامعات الجزائرية إمكانيات مادية في خدمة الباحثين و فتحت مخابر البحث العلمي الخاصة بالنقد الأدبي الحديث التي تنج من حين لآخر بحوثها في شكل كتب أو مجلات، فمجلة مقاليد مثلا مجلة مخبر وكتاب "حركة مجلة شعر و إشكالية المشروع الحداثي . تنظيرا و إبداعا." للسعيد بوسقة و أحسن مزدور من منشورات مخبر الأدب العام المقارن بجامعة عنابة سنة2005. و كتاب الشعريات و السرديات ليوسف وغليسي من منشورات مخبر السرد العربي في جامعة قسنطينة. و بالإضافة إلى منشورات مخبر السرد اهتمت جامعة قسنطينة بطبع كتب الشاعر الناقد عبد الله حمادي، ككتاب مساءلات في الفكر و الأدب الصادر سنة 1994، وكتاب أصوات من الأدب الجزائري الحديث لعبد الله حمادي، و كتاب سلطة النص (في ديوان البرزخ و السكين لعبد الله حمادي) لمجموعة من المؤلفين، الصادرين عن منشورات جامعة قسنطينة سنتي 2000 و2001 على التوالي.

و الجامعة ميدانا تخلق تراكما نقديّا نتيجة الجهود المتواصلة الّتي يسعى وراءها الشّعراء النّقاد لا لإعطاء مبررات للكتابة الشعريّة فذلك الهدف صار قديما و عول عليه الشعراء غير الأكاديميين سابقا أما الشاعر الناقد الأكاديمي المعاصر فيبرر الممارسة الإبداعية و يساهم في تطوير النقد المنهجي محددا أهداف مقاربته المضبوطة بأسس و مناهج محددة. و عليه فإنّ التّواصل النّقديّ بين أجيال الثنائية صائر لا محالة، فهذا عبد الله حماي الشّاعر النّاقد الأكاديميّ تتواصل جهوده النّقديّة مجسدة ازدواجيّة الظّاهرة من الثمانينيات مرورا بالتسعينيات وصولا إلى سنة ألفين و ما بعدها، و هذا دليل على طول عمر التّجربة و ربطها بين أجيال الثنائية وتنوعها انطلاقا من حجم التأليف الّذي وصل إلى العشرة مؤلفات في مجال النقد و الستة في مجال الشعر بالإضافة إلى كتب كثيرة محققة و مترجمة.

و من ثمة تشكّل جهود حمادي و مشري بن خليفة و علال سنقوقة بداية لنقد الشّعر و نقد السّرد لدى الشعراء، كما تستمر الباحثة خيرة حمر العين في عطاءها النّقدي مجسدا في شعرية الانزياح، و كذا يصدر عبد القادر رابحي كتاب النص و التقعيد، و هي مقاربات داخلية للنص تختلف عما ألفه النّقد الجزائريّ لدى شعرائه، أما الرمز الشعريّ الّذي يمثل أحد مظاهر التّجديد في النّص الشعريّ العربيّ المعاصر فقد تجلى في عمل نسيمة بوصلاح تحت عنوان تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر الصادر عام 2003.

و يلتفت الشّاعر النّاقد يوسف وغليسي إلى نوع آخر من الخطابات و هو الخطاب النّقدي مخالفا الشّعراء النّقاد الذين عوّدوا النّقد على مقاربة الخطاب الشّعري مقاربة سياقيّة أو نصانيّة. أما أن يكون المتن النقدي الجزائري محل دراسة شاعر ناقد فهذا ما انفرد به وغليسي في كتابه عن تجربة جزائرية نقدية و هي تجربة الناقد مرتاض المعنون بـ "الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض" لتتسع دراسة النقد الجزائري لديه في كتاب آخر وهو النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الالسنية و كلتا التجربتين صدرتا سنة 2002، و تزداد التجربة النقدية عند وغليسي اتساعا و تخصصا، فالاتساع المقصود هو دراسته للخطاب الشعري دراسة موضوعاتية وقد صدر سنة 2007 ، أما التخصص فيظهر عندما يتفرد المصطلح النقدي الحديث بدراسة مستقلة عنوانها إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، كما يتفرد خطاب التأنيث الجزائري لديه في دراسة خاصة عنواها خطاب التأنيث دراسة في الشعر النسوي الجزائري و معجم لأعلامه و كلتا الدراستين صدرتا سنة 2008.

و في إطار الحديث عن انتقال وغليسي بين ضفاف النّصوص الأدبية الجزائرية و العربية إبداعا و نقدا وتخصصه في المصطلح النقدي، فإن فيصل الاحمر سيبدو أكثر تخصصا في المصطلح الأدبي و السيميائي في كتابه الموسوعة الأدبية الصادر عام 2009 بمعية نبيل دادوة، و معجم المصطلحات السيميائية الصادر عام 2010. كما تتجاوز راوية يحياوي النص الأدبي الجزائري لدراسة النص العربي المجسد في أعمال أدونيس الشعرية " الكتاب" في دراستين متتابعتين هما: شعر أدونيس البنية و الدلالة و من القصيدة إلى الكتابة( دراسة في تحولات القصيدة في الكتاب لأدونيس) الصادرين عام 2008.

و يواصل الباحث ملاحي في المنهج نفسه فيعطيه مدة صلاحية أطول عندما يقرر مقاربة نصوص السياب في كاتب عنوانه الجملة الشعرية في القصيد الجديد (السياب نموذجا) الصادر سنة 2007، أما كتاب المجرى الأسلوبي للمدلول الشعري العربي المعاصر الصادر سنة يعرض فيه الشاعر ملاحي التقاليد الأسلوبية التي ظلت تأسر النص العربي مدة طويلة متتبعا تحولاتها و مفارقاتها، سعيا منه " لصناعة المدلول الشعري العربي الجديد من خلال تحديد المجرى الأسلوبي الذي يتفرد به"[25]. و من ثمة نلاحظ استقرارا نسبيا للمنهج من جهة ومن جهة أخرى تنوع المتن المدوس بين الجزائري و العربي.

و يظهر كتاب زحام الخطابات مختلفا من حيث طبيعته التي كانت نظرية فيعرض أنوع الخطاب و ذلك سنة 2005 لعبد الله العشي هذا الذي يتأخر أهم منجزاته النقدية إلى سنة 2009 و يظهر في كتاب أسئلة الشعرية (بحث في آلية الإبداع الشعري)، فيكشف فيه عن أسرار تجارب الشعر لدى الشعراء العرب حديثا، و الكتاب يقتفي آثار

تجارب سابقة و يواصل سيرها كتجربة موسى منيف في نظرية الشعر عند الشعراء النقاد في الشعر العربي الحديث و تجربة عز الدين إسماعيل في مفهوم الشعر في كتابات الشعراء المعاصرين، و يقول عبد الله العشيّ عن أسئلة الشعرية أنه : "يبحث في بعض المفاهيم الأساسية لنظرية الشعر انطلاقا من كتابات الشعراء النثرية و الشعرية و أحاديثهم التي سعوا فيها إلى بلورة مفاهيم حول قضايا الشعر" [26]. و ما يميز هذه التجربة بحثها في آراء الشعراء و عدم اقتفائها للدراسات التي تعتمد رأي الناقد أساسا لقيام نظرية الشعر.

و الملاحظ أن هناك تقاطعا في التجارب النقدية للشعراء، فهذا ياسين بن عبيد و حكيم ميلود يهتمان بالبعد الصوفي في الشعر و النثر في دراستي "الشعر الصوفي في الجزائر" صادر سنة 2007، و "الكرامة الصوفية". أما إدريس بوذيبة و وسيلة بوسيس فيقاربان نصوصا روائية للطاهر وطار وفق المنهج السيميائي البنيوي تحت عنوان "الرؤية و البنية في روايات الطاهر و طار"، و "شعرية المنظوم و المنثور" الصادرين سنة 2007 ، 2009 على الترتيب. و يتقاطع عبد الملك بومنجل مع راوية يحياوي و سفيان زدادقة في نقدهم لتجربة الشاعر الناقد أدونيس في النقد و الشعر في "جدل الثابت و المتغير في النقد العربي الحديث"، و "شعر ادونيس البنية والدلالة"، و "من القصيدة إلى الكتابة"، و "الحقيقة و السراب" و كلها بحوث جامعية ( رسائل ماجستير أو دكتراه). كما يتقاطع ناصر معماش و باديس فوغالي في الاهتمام بدراسة المتن الشعري و النثري النسوي في الجزائر.

أما الدرس اللساني و التداولي فلا نجد له دراسة وافية متميزة إلا عندما نطلع على دراستي الشاعر الناقد خليفة بوجادي لشعر مفدي زكريا في دراسة عنوانها الثابت اللساني (في إلياذة الجزائر)، أما الكتاب الثاني فيحاول أن يؤصل فيه الشاعر بوجادي للجهود العربية القديمة التي تتقاطع مع الدراسات التداولية الحديثة تحت كتاب عنوانه "في اللسانيات التداولية ( مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)".

و حظيت النصوص الموجهة للطفل للنقد من طرف الشعراء النقاد كالدراسة التي قدتها الشاعرة الناقدة مسعودة لعريط الموسومة بـ قصص الأطفال في الجزائر (دراسة موضوعاتية) 2003، و رسالة الدكتراه التي أنجزها ناصر معماش الموسومة بـ "الخطاب الشعري الموجه للطفل في الجزائر"، ناصر معماش.

أما ما يميز الشاعر الناقد عبد الملك بومنجل فهو غزارة العطاء النقدي و الشعري. بالإضافة إلى وجود توازن نسبي بين الإنتاجين النقدي و الشعري لديه، كما نلاحظ تنوع مقارباته بين النثر و الشعر و النقد، حيث تنتقل دراسته بين النصوص الإبداعية الجزائرية كمحمد البشير الإبراهيمي و مفدي زكريا و الغماري و العربية القديمة كالمتنبي، و النص النقدي العربي الحديث مجسدا في دراسة عنوانها جدل الثابت و المتغير في نقد الشعر العربي الحديث الصادرة سنة 2009. كما يتناول الشاعر مشري بن خليفة موضوع الشعرية العربية و تحولاتها في النقد العربي قديما و حديثا في كتاب "الشعرية العربية مرجعياتها و إبدالاتها النصية" صدر سنة 2011، كما تناول بالدراسة و التحليل و المقارنة النص النقدي العربي المعاصر عنوانه "النقد المعاصر و القصيدة الحديثة" الذي صدر سنة 2013 .

الهوامش والاحالات:

1. عبد الملك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة، الجزائر، ص353.
2. محمد بن عبد الحي: التنظير النقدي و الممارسة الإبداعية، ( دراسة لستة نقاد/ شعراء معاصرين)، منشأة المعارف، الاسكندرية، ص11.
3. عبد الملك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، ص352.
4. محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 2، 1984، ص25.
5. عمار بن زايد: النقد الأدبي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، 1990، ص127.
6. المرجع نفسه، ص177.
7. يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر( من اللانسونية إلى الألسنية) إصدارات رابطة إبداع الثقافية، د ط، 2002، ص9.
8. المرجع نفسه، ص22.
9. عمار بن زايد: النقد الأدبي الجزائري الحديث، ص124.
10. المرجع نفسه، ص8.
11. محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث( اتجاهاته و خصائصه الفنية 1925. 1975)، دار الغرب الإسلامي، ط2، 2006، ص ص156، 157.
12. أحمد يوسف، يتم النص( الجنيالوجيا الضائعة)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2002، ، ص58.
13. المرجع نفسه، ص57 .
14. عبد الملك مرتاض: معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، 2007، ص39.
15. يوسف وغليسي: في ظلال النصوص (تأملات نقدية في كتابات جزائرية)، جسور للنشر و التوزيع، ط1، 2009، ص165.
16. المرجع نفسه، ص157.
17. عبد الله حمادي: أصوات من الأدب الجزائري الحديث، منشورات جامعة قسنطينة، د ط، 2000، ص196.
18. المصدر نفسه، ص207.
19. محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية، ص .
20. علي ملاحي: شعرية السبعينات في الجزائر( القارئ و المقروء)، منشورات التبيين الجاحظية، الجزائر، د ط، 1995، ص7.

* عنوان الأطروحة" حركة الشعر الحر في الجزائر" و هي دراسة أكاديمية نال بها الباحث شلتاغ عبود شراد درجة دبلوم الدراسات المعمقة من جامعة وهران تحت إشراف الناقد عبد الملك مرتاض، و تم طبعها في كتاب أصدر سنة 1985 عن المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1985، يعد مرجعا هاما في الشعر الجزائري. ينظر: عبد الملك مرتاض، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين. ص630.

21. أحمد يوسف: يتم النص، ص78.
22. المرجع نفسه، ص88.
23. المرجع نفسه، ص182.
24. المرجع نفسه، ص 182.
25. علي ملاحي: المجرى الأسلوبي للمدلول الشعري العربي المعاصر، دار الأبحاث، الجزائر، ط 1، 2007، ص6.
26. عبد الله العشي: أسئلة الشعرية، ص18.